دلالات الفعل الماضي في آيات الصلاة

The Semantics of Past Tense in Prayers Verses

الباحث– حيدر حسن عبيد القريشي أ.د– مجيد طارش عبد الربيعي

aaa.shsh١٩٧٧@gmail.com

مكان العمل: جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث لدراسة دلالات الفعل الماضي في آيات الصلاة في القــرآن الكــريم لغرض تسليط الضوء على الدلالة الواردة في آيات الصلاة، وما تحملهُ هذه الدلالات من معاني، ولا سيما في جانب دلالتها على الصلاة وأفعالها وأوقاتها، أما المنهج المتبع في هذا البحث فقــد أعتمتُ منهجاً ثابتاً وهو عرض اللفظة القرآنية في السياق الذي وردت فيه؛ لأن السياق يكشــف عن المراد وتحليل دلالة تلك الألفاظ وتفصيل القول في الأغراض التي قصدها المعجمي، ثم بيان معناها عند المفسرين وأصحاب كتب معاني القرآن حتى تكتمل دلالتها ويتضح معناهــا ومــراد المشرِّع منها؛ لأنّ الصلاة هي تشريع مطلوب من المؤمنين.

mulakhas albahtha:

yahdif hadha albahth lidirasat dilalat alfiel almadi fi ayat alsalaat fi alquran alkarim ligharad taslit aldaw' ealaa aldilalat alwaridat fi ayat alsalaati, wama thmlh hadhih aldilalat min maeani, wala siama fi janib dalalatiha ealaa alsalaat wafiealiha wawiqatiha ,'amaa almanhaj almutabae fi hadha albahth faqad aetmt mnhjaan thabtaan wahu eard allafzat alquraniat fi alsiyaq aladhi waradat fihi; li'ana alsiyaq yakshif ean almurad watahlil dalalat tilk al'alfaz watafsil alqawl fi al'aghrad alati qasadaha almuejamiu, thuma bayan maenaha eind almufasirin wa'ashab kutub

maeani alquran hataa taktamil dalalatuha wayatadih maenaha wamurad almshrrie minha; lan alsalaat hi tashrie matlub min almuminina.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين كما ينبغي أن يُحمَد حمداً كثيراً، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، وأشهد أنْ لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وحبيب إله العالمين محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

أمّا بعدُ: فالقرآن سيد الكلام ومعجزة الإسلام في الفصاحة والبلاغة والبيان، فالنص القرآني نص مقصود اختيرت فيه الحروف والألفاظ والتراكيب اختياراً بليغاً، وإننا عندما نسمع مفردةً قرآنية أو لفظاً قرآنياً نتشوق إلى معرفة دلالة هذا اللفظ ونشتاق إلى معرفة مراد الله تعالى بهذا اللفظ؛ لأنّ القرآن لا تنتهي غرائبه ولا تنفد عجائبه، فهو ذو معانٍ عدة ومقاصد كثيرة، فأردت أن أنهل من فضله وأخوض غماره، فقمت باختيار (الفعل الماضي في آيات الصلاة) موضوعاً لبحثي وأقصد بها، الآيات التي تذكر الصلاة في القرآن الكريم، بأشراف أستاذي الدكتور مجيد طارش الربيعيّ، واقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى مطلبين كان الأول تعريفاً للفعل الماضي وبيان دلالته أمّا المطلب الثاني فكان للدلالات وتطبيق الألفاظ الواردة فيها أفعال الماضي ثم الخاتمة التي ضمت أهم النتائج والتوصيات.

وخاتمة القول، ما هذا البحث إلا جهد متواضع في مجال القرآن الكريم، وشيء قليلاً من علم وفير؛ لا أدّعي فيهِ الكمال، أنما بذلت فيه قدر استطاعتي، فما كان لي من توفيق وصواب فمن الله – العلي القدير – وما كان فيها من سهواً أو خطأ فمن نفسي، أسأل الله تعالى أن يصفح عني فيما سهوت أو خطأت، وما توفيقي إلا بالله رب العزة والجلالة، والصلاة والسلام علي خير الخلق أجمعين . وعلى آله وصحبه ومن تبعهُ بإحسانٍ الى يوم الدين.

المطلب الاول: التعريف بالفعل الماضي ودلالته.

الفعل في اللغة العربيّة يعتبر من أهم موادها ومكوناتها؛ لأنه يمثل مادة كبيرة، في مفردات اللغة العربية، لهذا دراسة الفعل كمفردة من مفردات اللغة لها خصائصها من الجوانب التي تدخل في دلالة الفعل سواء أكانت صرفية أم تركيبية أم سياقية، ثم هناك خاصية للفعل تُبرِز دلالته هي أنّه يدّل على الحدث مقترن بالزمن وهو ما صرح به علماء العربيّة، ودلالة زمن الفعل على الماضي والحاضر أو الحال والمستقبل[١] وقد بيّن الزمخشريّ معنى الفعل بقوله" مادلَّ على اقتران حدث بزمان، ومن خصائصه صحة دخول(قد) وحرفي الاستقبال، الجوازم، ولحوق البارز من الضمائر، وتاء التأنيث الساكنة نحو قولك: قد فعلَ، وقد يفعلُ، وسوف يفعلُ، ولم يفعل، وفعلتُ، ويفعلنَ، وفعلت"[٢] ويقسم النحويون الفعل على ثلاثة أقسام: ماضٍ ومضارع وأمر، وأما الصرفيون فقد قسموه من ناحية بنائه إلى مجرد ومزيد، وعرف المجرد بكل فعل تكون حروفه أصلية أمّا المزيد فهو ما زيدَ بحروفه عن الأصل وقسم أيضاً إلى ثلاثي ورباعي[٣] وقد بيّن الدكتور فاضل الساقي بقوله:" إن الفعل ما دلَّ على حدث مقترن بزمن وهذا أفضل تحديد فدلالته على الحدث والزمن هي وظيفته الصرفيّة التي يتميّز بها عن غيره من أقسام الكلم"[٤] ولمّا جاء القرآن الكريم بلسان عربي مبين، ونزوله وفق السنن العربيّة في كلام العرب فقد كان للفعل شأن عظيمٌ، أذ جاء في دلالته على بيان التشريعات والأحكام، لتنظيم حياة البشر، الذين هم أهل هذا الكتاب العربي الخالد، ومن هنا كانت دراستي لآيات الصلاة تبحث في خصائص دلالة الفعل، وأقسامه من ماضٍ، وحاضر، ومستقبل، مبيناً الجوانب التي توضح الدلالة من خلال الفعل في آيات الصلاة في القرآن الكريم.

والفعل ركن ذات أهمية كبيرة في الجملة العربية، فهو قسم رئيس من أقسام الكلمة، التي يؤلف منها الكلام، وقد اتخذ الفعل مكاناً مهماً في الجمل العربية وغيرها، والفعل في اللغة العربيّة قد تميّز عن أخويه الاسم والحرف بالحدث، والزمن فكان الزمن مائزاً لا بدَّ منه مع الفعل؛ لأنّ

---

(١) ينظر: شرح الكافية: ١/٣٠.

(٢) المفصل في صنعة الاعراب:١/ ٤٤.

(٣) ينظر: شرح المفصل: ١٤١/٩.وينظر: أوزان الفعل ومعانيها:٢١-٢٢.

(٤) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: ٧٣.

الفعل متوقف على الزمن والحدث، فالزمن مهم جداً مع الفعل؛ لأنّ الفعل والزمن لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر، لذلك جُعل الزمان محدّداً لأقسام الفعل الثلاثة، فلا انفكاك بينهما[١]

الفعل في اللغة:

عُرفَ "الفَعْلُ بالفتح: مصدرُ فَعَلَ يَفْعَلُ، والفِعْلُ بالكسر الاسمُ، والجمع الفِعالُ. والفَعالُ بالفتح: الكَرَمُ "[٢]، وقال ابن منظور: " الفِعل: كِنَايَةٌ عَنْ كُلّ عَمَلٍ متعدٍّ أو غَيْرِ متعدٍّ، وَالْجَمْعُ الفِعَال والفَعْل بِالْفَتْحِ مَصْدَرُ فَعَل يَفْعَل"[٣]، أمّا الرضي فقد عرّفه: بأنّهُ مادّل على معنى في نفسه، مقترن بأحد الأزمان الثلاثة وهي الماضي والمضارع والأمر[٤].

الفعل في الاصطلاح:

الفعل مصطلح وجد بوجود اللغة والنحو، وأول بوادره؛ بأنّه أمر من الإمام علي >إلى تلميذه أبي الأسود الدؤلي، وقد أمره أنْ ينحو نحوه ويضع القواعد النحوية[٥]، وبعد ذلك وضعوا العلماء فوارقه التي تفرق بيّن الفعل والاسم والحرف؛ فمنهم من عرّفه بذكر صفاته وعلاماته، كما عَرّفه ابن السراج في أصوله بقوله: " الفعل ما دل على معنى وزمان، وذلك الزمان أمّا ماض وإما حاضر وإما مستقبل، وقلنا: {وزمان} لنفرق بينه وبين اسم الذي يدل على معنى فقط "[٦]، وهنا إشارة إلى أقسامه الثلاث الماضي والمضارع والأمر بدلالته على معنى الفعل وزمانه،

---

[١] يُنظر: موسوعة علوم اللغة: ١١٤/٧.

[٢] الصحاح:(فعل) ٢ / ٤٧.

[٣] لسان العرب:(فعل) ٥٢٨/١١.

[٤] ينظر: شرح الكافية: ١ / ٣٠.

[٥] يُنظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٤ / ٥، والأشباه والنظائر في النحو: ١ / ١٢- ١٣.

[٦] الأصول في النحو: ١ / ٤١.

وزمانه، لهذا عُرّفَ بأنه " ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة "[١] وذهب إليه السيوطي أيضاً لكنه قال: مقترن بزمان فقط بلا ذكر الأزمنة الثلاثة [٢].

وتبيّن ممّا تقدم تعريف الفعل أنه اللفظ الدال على حدث ومعنى في نفسة وذاته، وهو بهذا يشابه الاسم، لكن بقيد اقترانه بأحد الأزمنة خرج الاسم عنه، وقد أصبحت دلالته على الزمان هي المائز في تقسيمه إلى أقسامه الثلاثة ومن هذا انطلق علماء العربية في تحديد دلالة كُلّ قسم من أقسام الفعل، وهذا ما سنقوم بدراسته في آيات الصلاة في القران الكريم.

دلالة الفعل الماضي

اعتُبِرَ الزمن من مقومات الأفعال التي توجد بوجوده، وتنعدم بانعدامه، وقسمت الأفعال بالنسبة لدلالة الزمان فيها، فمن خلال تعريف سيبويه يعرض لنا أقسام الفعل على أساس دلالته الزمانية فقال: سيبويه (ت١٨٠ه) معرفاً الماضي عن طريق إشارته للفعل بشكل عام: قال" وأمّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنيّت لما مضى"[٣] أمّا الزجاج (ت٣٣٧ه) فقد جعل مراتب الفعل حسب الأسبقية الزمانية، إذ جعل أسبق الأفعال في مراتبها فعل المستقبل، ثم يأتي فعل الحال، وبعده يأتي الماضي[٤] وقد عرّف الزمخشريّ الماضي بقوله:" هو الدال على اقتران حدث حدث بزمان قبل زمانك وهو مبني على الفتح إلا أن يعترضه ما يوجب سكونه أو ضمه"[٥]
وهناك فرق بين رؤية علماء المنطق للفعل ورؤية النحويّينَ لذلك فالمناطقة يرون الفعل المفرد هو الماضي دون المضارع، أمّا النحاة فإنهم يرون الفعل كلمة مفردة سواء كانت ماضياً أو مضارعاً أو أمراً[٦]

---

[١] شرح الرضي على الكافية: ١ / ٣٨.ويُنظر: مسائل خلافية في النحو: ٤٥.
[٢] يُنظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ١ / ٧.
[٣] ينظر: كتاب سيبويه: ٨٧/١.
[٤] ينظر: الإيضاح في علل النحو:٨٥-٨٧.
[٥] المفصل في علم العربية: ٢٤٤.
[٦] ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: ٢٠١-٢٠٢.

ويظهر لنا ممّا تقدم اتفاق النحاة في اللغة العربيّة على وضع صيغة الفعل الماضي للدلالة الزمانية في الماضي المطلق، وهذا ما نجده واضحاً في لغتنا العربية، وأوضح منها في القرآن الكريم، وقد وجدنا الأفعال الماضية التي تدل على زمن الماضي في آيات الصلاة وسأبيّن دلالتها من المعجمات اللغوية وتفاسير القرآن الكريم وكتب المعاني حسب قوة الألفاظ ودلالتها.

المطلب الثاني: دلالات الأفعال الواردة في آيات الصلاة.

الحث على إقامة الصلاة وأدائها

لى: في قوله تعالى

ﱡ كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ﱠ[1]

تكلمنا في مفردة سابقة عن مقيمي الصلاة فإقامة الصلاة معناها الجمع بين تأديتها والحفاظ عليها بشروطها في أوقاتها، مع التزود بتقوى الله و المحافظة على السلوك السوي، والقيم الحسنة والأخلاق الفاضلة فيما بين الصلوات، والخشوع، وتدبر القرآن وفهم معانيه، والعمل بمضمونه على أن ينعكس على سلوك الفرد، والابتعاد عن الفحشاء، وقول الزور والمنكر، والنميمة و الابتعاد عن المعاصي والفتن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتباع نصوص الكتاب الكريم و السنة النبوية الشريفة، وإخلاص النية لله، والعبادة لله تعالى وحده، وقد اختلفت دلالة لفظ الإقامة في القرآن بحسب المورد التي وردت فيه والسياق الحاكم عليها أمّا في دلالتها في الآية المتقدمة إقامة الصلاة هو أداء الصلاة في وقتها وبخشوعها والمحافظة عليها في أوقاتها؛ لأنها صلة بالرب، والوسيلة السامية للتقوى والابتعاد عن المعاصي[2] أي أدائها والمحافظة عليها أبرز دلالات "أقيموا الصلاة" هذا ما قاله السيوطيّ (ت٩١١ه) "أقاموا الصلاة حافظوا عليها بشروطها، يقال: قام بالأمر، وأقاموا به: إذا جاء به مُعْطٍ لحقوقه"[3]، وذهب إليه الطريحيّ بقوله:" قيل هي تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في أفعالها، وقيل: المواظبة عليها، من أقامت السوق إذا نفقت، وأقمتها إذا جعلتها نافقة، فإنها إذا حُفِظَــ عليها كانت كالنافق

([1]) سورة البقرة: ٢٧٧.

([2]) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٦/ ٢١. وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٦٤.

([3]) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٢/ ١٤.

الذي يرغب فيه، وإذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه، وقيل: التشمير لأدائها من غير فتور ولا توانٍ"[١]

ويتبيّن من مجيء الفعل الماضي(أقاموا) على بناء الفعل (أقام) من (أفعل) المزيد بالهمزة، وقد أحصى الدكتور هاشم طه شلاش معاني هذا البناء الصرفي حتى أوصلها إلى أربع وعشرين معنى، ومن أبرز هذه المعاني الصيرورة، والتعريض، والاستحقاق[٢]، وهناك دلالات للفعل الماضي بالإضافة إلى دلالته على الزمن الماضي يكون دالاً على الاستقبال، وفي هذه الآية يكون الأجر والثواب وعدم الخوف على المؤمنين وعدم الحزن عليهم مستمر ومتجدد ما دامت الصلاة قائمة، ومستمرين العباد بالصلاة ليس فقط الذين أقاموا الصلاة في ذلك الزمن، بل هذا العطاء الإلهي مستمر إلى يوم القيامة، وهذا ظاهر من دلالة الفعل الماضي المتجددة.

لى: في قوله تعالى

آ ٱ لم لى لي ما مم نر نز نم نن...ّ[٣]

قال الخليل:" قضي: قضى يقضي قضاء وقضية أي حكم"[٤] أمّا الراغب الأصفهاني فعنده القضاء هو فصل الأمر سواء أكان قولاً أم فعلاً وكل واحد منهما أي الأقوال أو الأفعال إلهي وبشري[٥] أمّا الزبيديّ فقد قال بمعنى الأداء يعني إذا أديتم الصلاة[٦]، هذا ما قاله أصحاب المعجمات، أمّا المفسرون فقد وظفوا هذه المفردة بمعنى فرغتم أو انتهيتم أو أديتم الصلاة فأذكروا الله على كُلّ حال تتمكنون منه واقفين أو قاعدين أو مضطجعين على جنوبكم[٧] أمّا الطنطاويّ قال:" فإذا أديتم أديتم صلاة الخوف، وفرغتم منها فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِكُمْ أي: فداوموا على الإكثار من ذكر الله في كُلّ أحوالكم سواء كنتم قائمين في ميدان القتال، أم قاعدين مستريحين، أم مضطجعين على جنوبكم، فإنّ ذكر الله– تعالى– الذي يتناول كُلّ قول أو عمل يرضى الله– هو

---

(١) مجمع البحرين: ٦/ ٥٠.

(٢) ينظر: أوزان الفعل ومعانيها: ٥٥–٧٠.

(٣) سورة النساء:١٠١.

(٤) العين:(قضى) ١٨٥/٥.

(٥) ينظر: مفردات غريب القرآن:١١٩٢

(٦) ينظر: تاج العروس:(قضى) ٣٩/ ٣١٢.

(٧) ينظر: جامع البيان:٩/ ١٦٤.

العبادة المستمرة التي بها تصفو النفوس، وتنشرح الصدور، وتطمئن القلوب"[١] أمّا الطبرسيّ فقال أراد بهذه الآية أداء الصلاة على كُلّ حال بمعنى أن الصلاة لا تترك بحال مستشهداً بقول: ابن عباس وأكثر المفسرين" قيل معناه فإذا أردتم الصلاة فصلوا قياماً إذا كنتم أصحاء وقعوداً إذا كنتم مرضى لا تقدرون على القيام وعلى جنوبكم إذا لم تقدروا على القعود"[٢] أي بمعنى أن هذه الكيفية من الصلاة لم تكن خاصة في حال الخوف بل يمكن الاستفادة منها لحال المصلي مطلقاً بالخوف وغيره.

ويتبيّن لنا أن مجيء المفردة بصيغة فعل الماضي الذي لا يفصح عن الزمن بمجرد الصيغة وحدها، بل يحتاج إلى تدخل بناء الجملة التي جاء بها وسياق الآية التي حل فيها ومنها فعل (قضيتم) الوارد في الآية المتقدمة؛ لأن السياق له الأثر في صياغة دلالة المفردة القرآنية وهنا تظهر دلالة فعل الماضي على الاستقبال فضلاً عن دلالته على الماضي، أي إذا قضيتم الصلاة ليس في الماضي وانتهى بل حتى في المستقبل تفيد الآية الحكم نفسه؛ لأن الفعل يفيد التجدد، وذلك لمجيء الفعل مسبوقاً بــ(إذا) الظرفية التي تجعل دلالته على المستقبل من الزمن ومعناه حين قضيتم أي أديتم الصلاة وهذا ما أفاده علماء الفقه أن العاجز عن أداء الصلاة بكيفيتها المعروفة يصلي حسب الاستطاعة، وهذا الحكم مستمر على المكلفين مع وجود الصلاة دلت استمراريته من خلال الفعل الماضي الدال على الاستقبال.

دلالة السفر على قصر الصلاة

في قوله تعالى: **لهِ**

ٱ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخيى يه ئم ئه بم به تم[٣]

جاءَ في العين أن" الضرب يقع على جميع الأعمال، ضرب في التجارة، وفي الأرض، وفي سبيل الله، يصف ذهابهم وأخذهم فيه"[٤] أمّا الأزهريّ عنده الضرب في الأرض ابتغاء الخيرَ من من الرِّزق، أي سفركم إذا سافرتم[٥] وقد جاءت لفظة ضرب بتراكيب مختلفة في القرآن الكريم

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٣/ ٢٩٣.

(٢) مجمع البيان لعلوم القرآن: ١٥٧/٣.

(٣) سورة النساء: ١٠١.

(٤) العين:(ضرب) ٧/ ٣٠.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة:(ضرب)١٢/ ١٤.

وبدلالات مختلفة أيضاً وصلت إلى أربع دلالات، احدهما السير في الأرض أي إذا سرتم يقول الطبريّ قال:" أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: وإذا ضربتم في الأرض، وإذا سرتم أيها المؤمنون في الأرض، فليس عليكم جناح، يقول: أي فليس عليكم حرج ولا إثم"[١] وقد وجه العديد من المفسرين دلالة هذه الآية على قصر الصلاة في حال السفر، ولكن لم يحدد عندهم مكان القصر هل هو في عدد الركعات كما ذهب إليه جماعة أم يكون القصر في كيفية الصلاة يعني في هيئتها كما ذهب البعض لصلاة الخوف[٢] أمّا الرازيّ فقد قال:" اعلم أن أحد الأمور التي يحتاج المجاهد إليها معرفة كيفية أداء الصلاة في زمان الخوف، والاشتغال بمحاربة العدو فلهذا المعنى ذكره الله تعالى في هذه الآية"[٣] وقد وظف علماء الفقه دلالة هذه الآية من خلال لفظ الضرب وهو الدال على السير في الأرض إلى القصر وصلاة الخوف، وقد اتفق الجميع على تقصير صلاة الخوف في السفر فرادى أو جماعة وفي الحضر على رأي الشيخ المرتضى وابن إدريس وبعضُهم خص ظاهر الآية بالسفر فقط؛ لأن السفر قد يجري غالباً والخوف يكون في السفر غالباً[٤] ومن هذا فصل الراونديّ في كيفية السفر والقصر فيه قال:" إذا نوى الإنسان السفر لا يجوز أن يقصر حتى يغيب عنه البنيان ويخفى عنه أذان مصره أو جدران بلده والدليل عليه من القرآن قوله ﴿لا جناح عليكم إن ضربتم في الأرض﴾[٥]، ومن نوى السفر ولم يفارق موضعه فلا يجوز له القصر وإذا فارق بنيان بلده يجوز له التقصير. ولا يجوز أن يقصر ما دام بين بنيان البلد سواء كانت عامرة أو خرابا فإن اتصل بالبلد بساتين فإذا حصل بحيث لا يسمع أذان المصر قصر فإن كان دونه أتم صلاته"[٦]

ويظهر من مجيء لفظ الضرب بصيغة فعل الماضي المسبوق بشرط أو يكون الفعل شرط أو جواب الشرط فيه دلالة على الاستقبال فضلاً عن دلالة الماضي أي يدل على معنى حين؛ لأن أدوات الشرط جميعها تجعل زمن فعل الماضي مستقبلاً خالصاً[٧] أي جاءَ التعبير بالفعل الماضي

---

(١) جامع البيان: ٩/ ١٢٣.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي:(تأويلات أهل السنة) ٣/ ٣٣٧.وينظر: بحر العلوم: ٣٣٢/١.

(٣) مفاتيح الغيب:١١/ ١٩٩.

(٤) ينظر: الزبدة الفقهية في شرح الروضة البهية، كتاب الصلاة: ٤٥٨/٢-٤٥٩.

(٥) سورة النساء: ١٠١.

(٦) فقة القرآن: ١/ ١٤٥.

(٧) ينظر: شرح الكافية:٤/ ١٣.

الماضي (ضربتم) للدلالة على أنّ تحقق السفر مستمر وممتد باستمرار الحياة ما دام هناك سفر يقوم به الإنسان فهو مكلف بقصر صلاته، وهذا الحكم أقره علماء الفقه بقولهم: "صلاة المسافر: وشروطها: قصد ستة وتسعين ألف ذراع أو نصفها لمريد الرجوع ليومه، وأن لا يقطع السفر بمروره على منزله، أو نية مقام عشرة أو مضي ثلاثين يوما في مصر، وأن لا يكثر سفره كالمكاري والملاح والأجير والبريد، وأن لا يكون معصية، وأن يتوارى عن جدران بلده أو يخفى أذانه فيتعين القصر إلا في مسجدي مكة والمدينة ومسجد الكوفة والحائر على مشرفه السلام فيتخير، والإتمام أفضل"[١] أي يجب قصر الصلاة حال السفر بعد قطع المسافة الشرعية التي حدّدها الشارع المقدس وهذا ما أفاده الفقهاء من خلال الاستدلال بالآية الكريمة وهو دلالة الفعل الماضي على الاستمرار.

دلالة الإعراض عن الصلاة وضياعها

فج: في قوله تعالى

آ أ...ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم ّ[٢]

جاء في كتاب العين: "ولي: الولاية: مصدر الموالاة، والولاية مصدر الوالي، والولاء: مصدر المولى، والموالي: بنو العم، والموالي من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يحرم عليه الصدقة "[٣] وذهب الأزهريّ: إلى التولي بمعنى الإعراض ويكون أيضاً بمعنى الاتّباع، والتولية تكون بمعنى الإقبال على الشيء[٤] ثم أن الأزهري في معاني القراءات يوجه توليتم: أعرضتم عن الحق[٥] وقد اختلفت دلالة لفظ الفعل توليتم في القرآن الكريم إلى دلالات عدّة منها(الإعراض، والإتباع، والإقبال) وما يهمنا في دلالة هذه الآية المتقدمة نجد أن لفظ توليتم جاء بمعنى الإعراض وهذا ما ذهب إليه المفسرون[٦] جاء في تفسير العسكريّ: "ثم توليتم: أيها

---

(١) اللمعة الدمشقية في فقه الأمامية، كتاب الصلاة: ٢٠/١.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) العين:(تولى) ٨/ ٣٦٥.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة:(تولى) ١٥/ ٣٢٥.

(٥) ينظر: معاني القراءات: ٢/ ٣٨٨.

(٦) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢٩/١. وينظر: التبيان في تفسير القرآن:٣٣١/١.

اليهود عن الوفاء بما قد نقل إليكم من العهد الذي أداه أسلافكم إليكم وأنتم معرضون عن ذلك العهد، تاركين له"[١]

ويتبين من مجيء الفعل توليتم بصيغة (تفعّل) دلالته على الزمن الماضي أي هذا الإعراض كان في الزمن الماضي ويفيد بناء(تفعل) "المطاوع"[٢] قال الطوسيّ" ثم تولى سلفكم إلا قليلاً منهم، ثم قال: وأنتم معاشر بقاياهم معرضون أيضاً عن الميثاق الذي اخذ عليكم"[٣] ومن مصاديق هذا الميثاق هي الصلاة فجاءت الدلالة من خلال الفعل(توليتم) كانوا معرضين عن عبادة الله، والصلاة هي روح العبادة المتضمنة للخشوع وإقبال القلب وقد أورد علماء الفقه عدم ترك الصلاة للإنسان السوي العاقل قال:" ابن عباس لم يعذر أحد في تركه للصلاة إلا مغلوب على عقله"[٤]، وهذا يدل على عظم شأن الصلاة عند الله سبحانه وتعالى.

ج: في قوله تعالى

ٱ ئخ ئم ئه بج بح بخ بم بهتج تح تخ تم ٱ[٥]

قال الأزهريّ:" ضَاعَ الشَّيْء يضيع ضيَاعًا وَضيْعة، وَترك فلَان عِيَاله بمَضْيْعة ومَضِيعة، وأضاع الرجل عِيَاله وَمَاله، وضيّعهم إِضَاعَة وتضييعاً "[٦] أمّا ابن فارس فقد يدل الضياع عنده على فوات الشيء، وذهابه وهلاكه، فيقال: ضاع الشيء يضيع ضياعاً وضيعة، أي هلك وذهب وفات وقته[٧] هذا ما وجهه أصحاب المعجمات، أمّا المفسرون فقد حددوا الضياع في هذه الآية بالصلاة، وكانت إضاعتها كفراً وجحوداً بها، ومنها كانت إضاعة أوقاتها وعدم المحافظة

---

(١) تفسير الامام العسكري: ١/ ٣٢٧.

(٢) المفصل في صنعة الاعراب: ٢/ ٥٣.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ١/ ٣٣١.

(٤) فقه القرآن:١/ ١٢٢.

(٥) سورة مريم: ٥٩.

(٦) تهذيب اللغة:(ضيع) ٣/ ٤٦.

(٧) ينظر: مقايس اللغة:(ضيع) ٣/ ٣٨٠.وينظر: مفردات غريب القرآن:٨٨٦.

عليها[١] أمّا الرازيّ فقد قال: "أضاعوا الصلاة تركوها لكن تركها قد يكون بأن لا تفعل أصلاً"[٢] ويتبيّن ممّا تقدم من مجيء الفعل الماضي (أضاعوا) على بناء (أفعل) الذي يدل على الاستقبال بالإضافة إلى دلالته للزمن الماضي، وفيه دلالة على التعريض بهؤلاء الذين أضاعوا هذه العبادة المهمة في الدين الإسلامي، ويظهر هذا التضييع في معنين هما الاستخفاف بالصلاة، وتضيعها كلياً أي تركها وعدم الاعتناء بها وقد حذر النبي ;وأهل البيت من تضيع الصلاة فعن أبي جعفر > قال: "لا تتهاون بصلاتك فإن النبي ; قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته، ليس مني من شرب مسكراً لا يرد علي الحوض لا والله"[٣]، وهذا التعريض مستمر على كُلّ من يضيع صلاته ويتهاون ويستخف بها.

شرطية الاطمئنان حال الصلاة

ں: في قوله تعالى

ﭐ ﱡ ﱠ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷾[٤]

قال الخليل:" اطمأن الرجل، واطمأن قلبه، واطمأنت نفسه إذا سكن واستأنس، والمطمئن من الأرض، أرض منخفضة"[٥] وقال الزجاج في معانيه أي إذا سكنت قلوبكم، ويقال اطمأن الشيء إذا سكن[٦] ولقد أشار الأزهريّ بتوجيه هذه اللفظة إلى سكون النفس والقلب من بعد الخوف[٧] أمّا الراغب فقد جعل الطمأنينة من بعد الانزعاج وهذا مدلول الآية؛ لأن المؤمنين في حال خوف وانزعاج[٨] ويظهر من توجيه أصحاب المعجمات أن الطمأنينة حالة نفسية يحتاجها الأنسان من بعد الخوف والانزعاج، أمّا المفسرون فقد وجهوا دلالة هذا اللفظ بالقول:"(فَإِذَا

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٢٢/٤.
(٢) مفاتيح الغيب:٢١/ ٥٥١.
(٣) أخرجه الكليني في الكافي، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها:٣/ ٣٢٣.
(٤) سورة النساء: ١٠٣.
(٥) العين:(طمن) ٧/ ٤٤٢.
(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/ ٩٩.
(٧) ينظر: تهذيب اللغة:(طمن) ١٣/ ٢٥٣.
(٨) ينظر: مفردات غريب القرآن: ٥٢٤.

اطْمَأْنَنتُمْ) فيه تأويلان: أحدهما: يعني فإذا أقمتم بعد السفر فأتموا الصلاة من غير قصر، وهذا قول الحسن، وقتادة، ومجاهد، والثاني: معناه فإذا أمِنْتم بعد خوفكم فأتموا الركوع والسجود من غير إيماء ولا مشي، وهذا قول السدي"[١]

ويتبيّن من توجيه المفسرين لهذه اللفظة، أنّ الاطمئنان يُرجِع المكلف بالصلاة إلى حالتين، أمّا يرجع إلى حالة التمام بدل القصر بعد الطمأنينة أو يرجع إلى كيفية الصلاة من ركوع وسجود كذلك بعد الاطمئنان وسكون القلب والنفس، وقد عدَّ علماء الفقه الطمأنينة شرطاً في أفعال الصلاة فقد رُويَ "عن أمير المؤمنين > ولا يخفى أن عدم اعتبار الخوف يأباه، قوله فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة فإن ظاهره إذا استقررتم بزوال خوفكم وسكنت قلوبكم فأتموا حدود الصلاة واحفظوا أركانها وشرائطها"[٢]؛ إذن من الآداب القلبية المهمة في العبادات وخالصة الصلاة هي الطمأنينة حيث عدّها الفقهاء من شروط أفعال الصلاة والذكر، ومنهم من جعله واجباً قال: الراونديّ "يجب الطمأنينة في الركوع والسجود وكذا بعد رفع الرأس منهما"[٣] ؛ لأن المصلي أذا أذا قام بأداء الصلاة وهو في حالةِ اضطراب في القلب وانزعاج وعدم استقرار في النفس فلا يتحقق المراد من العبادة؛ لأن بالطمأنينة يكون هناك انعكاس من القلب على الجوارح التي تقوم بفعل الصلاة يقول:" الإمام علي ابن أبي طالب > لا يقومن أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعِساً ولا يفكرن في نفسهِ فإنه بين يدي ربه عزَّ وجلَّ وإنما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه"[٤]

ويظهر ممّا تقدم أن مجيء الفعل الماضي الذي يفيد معنى زمن المستقبل أي يفيد معنى حين تحصل الطمأنينة هذا من خلال مجيء (إذا) سابقة للفعل، والفعل يدل على التجدد والحدوث، فالطمأنينة الواردة في الآية التي هي دلالة على سكون القلب واطمئنان النفس بعد الهيجان والانزعاج، الذي حدث لها من الخوف عند قتال الكفار، والظاهر من الآية إذا حصل الاطمئنان لدى المكلف وتستقر حالته يصلي صلاته الاعتيادية بركوعها وسجودها وتشهدها، ويترك صلاة

---

(١) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢/ ٢٩٤.

(٢) أخرجه المجلسي في بحار الأنوار، باب صلاة الخوف وأقسامها وأحكامها:٨٦/ ١٠٤.

(٣) فقة القرآن، باب هيأة الصلاة: ١/ ١٠٧.

(٤) أخرجه المجلسي في بحار الأنوار، باب آداب الصلاة: ٨١/ ٢٣٩.

الخوف التي صلاها من إيماء وحال اضطرار وهذا ما ذهب إليه الفقهاء في هذا الباب وهو متجدد في كُلّ زمان مع وجود الصلاة[١]

الوصية بالصلاة شعار المؤمن

لي : في قوله تعالى

ﱡ كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم ﱠ[٢]

جاءَ في كتاب العين: وصي:" والوصاة كالوصية، والوصاية مصدر الوصي، والفعل: أوصيت، والوصية: ما أوصيت به، والوصاية: فعل الوصي، وقد قيل: الوصي الوصاية، وإذا أطاع المرعى للسائمة فأصابته رغداً"[٣] ومن معاني الوصية هي التواصل من قبل الموصي مع الوصي، أي فيه دلالة على إني أتصلت بالموصي الذي وصاني، وكل شَيْء تواصل فقد توَاصى [٤] أمّا الزمخشريّ فقد قال:" وصى الشيء بالشيء: وصله به"[٥] أمّا في معاني القرآن فقد أجمعوا على مجاز هذه الآية من خلال وجود التوقيت والتحديد فيها" ما دمت حياً" الذي يدل على استمرار العبادة وعدم الاكتفاء بالمرة الواحدة منها؛ لأنه لو لم يوقّت لكان يكفي في الطاعة التطبيق مرّة واحدة[٦] أمّا المفسرون فقد فسروا هذه اللفظة يعني:" أوصاني وأمرني بإتمام الصلاة وإعطاء الزكاة مَا دُمْتُ حَيًّا"[٧] ويظهر لنا ممّا تقدم في مجيء الفعل الماضي بهذه الصيغة والبناء(أفعل) من أوصى وهذا البناء فيه دلالة على الاستقبال ودلالة على المطاوعة بالإضافة إلى دلالته على الزمن الماضي، أي فأنـــا على لسان عيسى > ممتثـــل لوصية ربي، وعام

---

(١) ينظر: مستمسك العروى الوثقى: ٦/ ٤٥٥.

(٢) سورة مريم: ٣١.

(٣) العين: (وصي) ٧/ ١٧٧.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة:(وصي) ٢٤١/١.

(٥) أساس البلاغة: ٢/ ٣٣٩.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج:١٨٧/٣.وينظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٨/٤.

(٧) تفسير بحر العلوم:٢/ ٣٧٤.

ل عليها منفذ لها والوصية هي إقامة الصلاة.

مقدمات الصلاة الآذان

مج : في قوله تعالى

ﱡ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح ﱠ[١]

لقد وجه أصحاب المعجمات لفظ (نوديَ) بمعنى النداء: هو نداء الصوت وبعد مداه[٢] أمّا الراغب في مفرداته قال:" النداء: رفع الصوت وظهوره وقد يقال ذلك للصوت المجرد وإياه قصّد بقوله **ﱡ يي يى ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز ﱠ**[٣] أي: لا يعرف إلا الصوت المجرد دون المعنى الذي يقتضيه تركيب الكلام، ويقال للمركب الذي يفهم منه المعنى ذلك قال تعالى **ﱡ لي مج مح مخ مم مى ﱠ**[٤] ونداء الصلاة مخصوص في الشرع بالألفاظ المعروفة"[٥] أمّا المفسرون فقد وجهوا لفظ نوديَ:" أي: بمعنى إذا دعوتم الناس إلى الصلاة بالأذان، والنداء: الدعاء بأرفع الصوت"[٦] أمّا الطبرسيّ فقد قال:" الأذان الإعلام يقال أذنته بكذا فأذن أي أعلمته فعلم وقيل إن أصله من النداء الذي يسمع بالأذن"[٧] وقد شُرع الآذان في الفقه الإسلامي عبارة عن إعلام الناس بدخول وقت الصلاة وقد خصص علماء الفقه باباً خاصاً للآذان والإقامة في

---

(١) سورة الجمعة: ٩.
(٢) ينظر: جمهرة اللغة:(ندا) ٢/ ٩٧. وينظر: الصحاح:(ندا) ٧/ ٣٥٥.
(٣) سورة البقرة: ١٧١.
(٤) سورة الجمعة: ٩.
(٥) مفردات غريب القرآن: ١/ ٤٨٦.
(٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٢/ ٢٠٣.
(٧) مجمع البيان لعلوم القرآن:٥/٧.

كتبهم الفقهية، إذ عُدَ من المستحبات المقدمة على الصلاة له كيفية خاصة يقوم به المسلمون في بيوت عباداتهم للإعلان عن دخول وقت الصلاة[١]

ويظهر لنا ممّا تقدم أن مجيء الفعل(نوديَ) على البناء فعَلَ المسبوق بشرط، والذي أخرج دلالة الفعل إلى المستقبل الذي يفيد التجدد بالإضافة إلى دلالته الزمنية على الماضي، أي أن النداء للصلاة مستمر ما دامت الصلاة باقية في الشريعة الإسلامية وقد أقر علماء الفقه النداء للصلاة وخاصة صلاة الجمعة وجعلوه إعلام لدخول وقت الصلاة ومن المستحبات الأكيدة في الشريعة.

الخاتمة

في ختام هذاالبحث (دلالات الفعل الماضي في آيات الصلاة)، أحاول بعد لطف الله تعالى عليّ، أنّ أوردَ، ما جنيته من ثمار بعد البحث في كتاب الله تعالى المنزل على نبيه المرسل ;، ويمكن أن أوجر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:

١. إن إيراد القرآن الكريم ألفاظاً تعطي معاني متعددة كثيرة دليل على معجزة القرآن في جميع الأزمان ويبقى متجدداً دائماً.

٢. لقد توصل الباحث إلى أن الدلالة هي الأمارة والعلامة التي يتوصل بها إلى المطلوب والتي تنشأ من خلال العلاقة بين الدال والمدلول أي بين اللفظ والمعنى والدلالة من المفاهيم المشتركة بين جميع العلوم (البلاغة، والأصول، والفلسفة، والفقه).

٣. توصل الباحث من خلال علم الدلالة إن المعنى هو الأساس في اللغة، وأما اللفظ هو الأداة الموصلة للمعنى وهناك حدود وقوانين لهذا الإيصال قد أبرزها علم الدلالة لذلك عُد علم الدلالة من أهم العلوم اللغوية.

٤. توصل الباحث أن هناك توسع في معاني الألفاظ الذي يعبر عنه المحدثون بالتطور الدلالي للألفاظ ممّا جعل اللفظ القرآني في تجدد وحيوية مستمرة ودائمة.

---

(١) فقه القرآن: ٩٩/١.

٥. ممكن القول أن السياق القرآني هو الكاشف عن كثير من الدلالات يخفى بيانها على اللفظ، بل تحتاج إلى ما يجاورها من ألفاظ أخرى يعبر عنه بالسياق للكشف عن الدلالة.

٦. هناك تداخل واضح بين المعنى الاصطلاحي واللغوي لمعنى الدلالة؛ حتى مع اشتراط القصدية عند علماء اللغة العربيّة بالدلالة وهم بذلك خصصوا معناها بخلاف المناطقة الذين عمَّمُوا معنى الدلالة.